قراءة في مخطوط الطرائف والتلائد في كرامات الشيخين الوالدة والوالد محمد الخليفة بن المختار الكنتي (ت 1242هـ/1826م)

فرح سعد-طالب دكتوراه، جامعة وهران 1 أحمدبن بلة
أ.د. بن نعمية عبد المجيد،جامعة وهران 1 أحمد بن بلة

الملخص :

إن البحث في ميدان المخطوط الذي إذا لم يخرج إلى النور دراسة وتحقيقا وتعليقا لاندثر مخزون مهم من تراثنا العلمي الذي لا يزال كثير منه حبيس هذه المخطوطات، وإن الباحث إذا لم يحقق أو يضع بصمة في هذا التراث لفاته خير كثير وعلم غزير، من هذا الباب ارتأينا أن نسلط الضوء على مخطوط مطمور من مخطوطات السودان الغربي، متمثلا هذا العمل في قراءة في مخطوط الطرائد والتلائد في كرامات الشيخين الوالدة والوالد لصاحبه سيدي محمد الخليفة الكنتي المتوفى سنة 1242هـ/1826م. هذا المخطوط يتحدث فيه صاحبه عن كرامات والديه بشيء من التفصيل، وهو في باب التصوف والزهد الذي ميز الصالحين في هذه المنطقة وهذه الفترة. حيث يبدأ بذكر مولد والديه وعمريهما ووفاتهما، وكيف ربياه، ويعرج على ما يتعلق بالكرامة والفرق بينها وبين المعجزة، وحد الولي وما يتعلق بذلك

Abstract

The search in the field of the manuscript، which if it did not come out into light through its study, investigation, and comment, an important part of our scientific heritage would disappear. Much of this treasure is still confined to manuscripts. If the researcher did not explore or put his imprint on this heritage, he would miss much of good prolific science. For this purpose, we decided to shed light on a scattered manuscript from western Sudan's manuscripts. This research attempts to provide some readings the manuscript "At-Tara'id wat-Tala'id fi karamaat sheikhs the mother and the father written by Sidi Mohamed Khalifa Alkinte who died in 1242 AH / 1826. In this manuscript, the author talks in details about his parents' karamaat, which is a chapter in mysticism and asceticism that characterized the righteous and pious in this region at this particular period. He started by mentioning the birth of his parents, their living and their death, and how they raised him along, and limped on the karaama and the difference between it and the miracle, only Al-Wallij and all that is related.

التعريف بصاحب المخطوط وبالمخطوط

هو محمد بن المختار[1] بن أحمد بن أبي بكر بن محمد بن حبيب الله بن الوافي بن الشيخ عمر الشيخ، المتوفى عام 989هـ/1781، رحل إلى المغرب ثم إلى الشام ثم إلى بلاد التكرور، لقي الشيخ عبد الكريم المغيلي وصاحبه مدة 32 سنة[2]. بن أحمد البكاي بن محمد الكنتي بن علي بن يحي بن عثمان بن يهس بن دومان، ينتمي إلى بطن أولاد الوافي من قبيلة كنتة الشنقيطية المنحدرة من الفاتح عقبة بن نافع، أبوه المختار الكنتي، أمه لالة عائشة بنت الأزرق الكنتية (1160هـ- 1224/ 1747-

1809م) [3]. له ألقاب متعددة أهمها الخليفة، وهو مصطلح صوفي، أي خليفة الورد وحامل البركة، ومولى الطريقة، ووارث إمام الطريقة أو المؤسس [4].

ولد من بين سبعة إخوة هو ثامنهم وفي الترتيب خامسهم وهم على التوالي زين العابدين (بكر الطهارة)، أحمد البكاي، حمة الأمين، بابا أحمد، محمد الخليفة، حيبللة، عمر، محمد [5].

ترك مؤلفات كثيرة من بينها: الرسالة في علم التصوف.

كشف اللبس فيما بين الروح والنفس.

جذوة الأنوار في الذب عن أولياء الله الأخيار.

نفح الطيب في الصلاة على النبي الحبيب.

يتيمة الليالي في إفحام علماء تينالي [6].

تصدر مشيخة الزاوية القادرية بغرب إفريقيا حيث خصص جهده لنشر الورد القادري وتعلم العقيدة [7]. وكان تواقا للجهاد لكن والده المختار منعه وقال أن التدريس والتعليم وبذل النصح من الجهاد أيضا.

من أعماله الجليلة تأمين الطرق من اللصوص وقطاع الطرق ووضع الضرائب والمكوس عن القوافل والتجار الوافدين إلى المنطقة [8] كذلك إنقاذ مدية تنبكتو، من الخراب المحقق عند الهجوم الوحشي الذي تعرضت له من قبل قوات الفلان (1241هـ - 1242 / 1825 – 1826م) بقيادة الشيخ أحمد لب الماسني[9]. وتمكن الشيخ محمد خليفة بتدخله من إيقاف الاجتياح والقضاء على التخريب والنهب الذين كان يقوم بهما جنود الفلان[10].

ترك تلاميذ كثر منهم سيديا بن المختار بن الهيب الإتشائي، الذي لازم الشيخ أكثر من 15 سنة، [11] كذلك غالي بن المختار فال العالم اللغوي والشاعر، من أعيان وعلماء مدينة شنقيط. [12] ومنهم محمد المختار بن آل الأعمش المتوفى 1285هـ/1868م، وهو من أشار على أخواله أهل تجكانت ببناء مدينة تندوف عام 1270هـ/1853م من كثرة تداخل الرقيبات مع تندوف، [13] من التلاميذ كذلك محمد بن محمد الفاضل، [14] وأيضا المختار الصغير، وغيرهم كثير.

توفي الشيخ يوم الجمعة منتصف ربيع الأول 1242هـ/ 1826م، بعد أن أتم قراءة النصف الأول من صحيح البخاري وقت صلاة الظهر.[15]

التعريف بالمخطوط:

مخطوط بدون رقم تصنيف موجود بمكتبة الشيخ المغيلي بوعلي زاوية كنتة أدرار (توات)، عدد أسطر الصفحة الواحدة في الغالب ما بين 36 و37 سطرا مع وجود توجيهات وشروحات وإضافات على الجانبيين يمينا وشمالا.

التعريف بالمخطوط:

يقع المخطوط في ثلاثمائة وعشرة (310) أوراق من الحجم المتوسط، مكتوب بخط مغربي واضح المعالم والحروف، قراءته سهلة وترقيم أوراقه واضح، به ألوان متعددة استعملها الناسخ هي الأزرق القاني والفاتح واللون الأحمر، والمخطوط في حالة جيدة.

الناسخ:

عبد القادر بن محمد بن محفوظ. انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه الجميل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم كمل على يد كاتبه وناسخه العبد الضعيف الفقير المحتاج إلى ربه الكريم رب العفو والمغفرة عبد القادر بن محمد بن محمد بن محمد المحفوظ غفر الله له ولوالديه ولأشياخه ولأحبابه ولقرابته ولجميع المسلمين.

تاريخ النسخ ومحتوياته:

كان الفراغ صباح يوم الثلاثاء من شهر جمادى الأولى 1400هـ. يشمل المخطوط على مقدمة وسبعة أبواب وكل باب على فصلين أو ثلاثة ثم خاتمة.

في المقدمة يتناول الشيخ إثبات الكرامة وحدها وشرطها والفرق بينها وبين المعجزة وسائر الخوارق الظلمانية، وما يجوز أن تبلغ إليه الكرامة، ويبين عدم لزوم الأفضلية لشخص بظهور الكرامة على غيره ممن لم تظهر على يديه، والرد على منكرها، وحد الولي وما يتعلق بذلك، والفرق بين علم الإلهام وعلم التعلم.

في الباب الأول يتحدث فيه عن مولد الشيخين وعمريهما ووفاتهما وابتداء أمرهما، وكيفية طلب الشيخ رضي الله عنه العلم، ورحلته فيه والصبر عليه، ومن أخذ عنه، وهذا موزعا على ثلاثة فصول بنوع من التفصيل.

أما الباب الثاني فيتحدث فيه عن ورعه وزهده مع كثرة ذات يده وصبره وحلمه ووقاره وعفوه وشجاعته وسياسته وبدائع أخلاقه.

الباب الثالث يتناول فيه علومه وفضله وأساليب تربيته، متناولا كل هذا من خلال ثلاثة فصول.

وفي الباب الرابع فيذكر معاملته مع الظلمة والرؤساء وعوام الأمة، وحاله مع الطلبة والجيران والأهل والإخوان.

الباب الخامس ففيه ذكر كراماته الاتفاقية ودرر خوقه الخالدة الباقية.

أما الباب السادس ففي إجماع أعيان الأمة بهذه الإعصار من سواكن البوادي والأمصار على جلالته وإمامته في العلم بالكتاب والسنة ونفوذه في علمي التصوف والباطن نفوذ الأسنة والاقتداء به والاستجارة منه والتسليم له، والرحلة للأخذ عنه واتباعه للسنة القائمة وإماتته البدعة المحدثة.

أما الباب السابع فيتحدث فيه عن وصاله ورسائله التي لا تستقل تأليفا وجملة من فائق نظمه الرائق وشعره المفيد الفائق وما طغى وشاع في الآفاق وانتشرت من بركته وزوائده ونفحاته وعوائده على أهله وأحبابه ومريديه وأصحابه وذكر وفاته واحتضاره، واختيار الله له من دار المحنة دار القرار في جواره.

وفي خاتمة المخطوط يذكر فيها شرح كرامات الشيخة الوالدة، وذكر سيرتها، وأحوالها وآدابها وحبها لربها، واهتبالها وعفافها وصيانتها، وحيائها وكرمها وحلمها واحتمالها، وسخائها وشفقتها على الخلق، وتواضعها ولين جانبها، وخفظ جناحها للضعفاء والمساكين، وشدة خوفها من ربها، وغلقها بالبكاء والحنين في كل وقت وحين، مع شرف نفسها وعلو همتها إلى الحد الفائت، كل هذه الصفات مفصلة من خلال مجموعة من الفصول.

مصادر المخطوط:

اعتمد الشيخ محمد الخليفة الكنتي على مجموعة من الاستشهادات من شيوخ الصوفية وفطاحلتها، أهم هؤلاء الشيوخ:

ابن عطاء الله السكندري (658هـ – 709/1260هـ – 1309): تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم عطا الله محمد بن الإسكندري أو السكندري المعروف بابن عطا لله الشاذلي المالكي وقيل الشافعي المذهب، أحد أركان الطريقة الشاذلية الصوفية كان جامعا لأنواع العلوم من تفسير وحديث ونحو وأصول وفقه على مذهب مالك، صحب في التصوف الشيخ أبو العباس المرسي وكان أعجوبة زمانه فيه، وأخذ عنه التقي السبكي، مات بالمنصورية من القاهرة ودفن في القرافة الصغرى[16]. من مصنفاته "الحكم العطائية" و "المناجاة العطائية" و "التنوير في إسقاط التدبير" و "تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس" و"لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبي الحسن".

أبو حامد الغزالي (حجة الإسلام): محمد بن محمد بن محمد الغزالي من مواليد قرية غزالة بطوس من أعمال خراسان عام 450هـ/1058م، ولذلك سمي الغزالي نسبة إلى القرية التي ولد بها، وبعضهم يقول أن أهله اشتغلوا بالغزل، انتقل من الفلسفة إلى التصوف في سن مبكرة، وعلم أن طريق الصوفية إنما يتم بعلم وعمل، [17] له مجموعة من الكتب تزيد عن مائتي كتاب منها "المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال" [18]، "إحياء علوم الدين"، "تهافت الفلاسفة"، "فضائح الباطنية"، " شرح عجائب القلب،"[19]، توفي في بلدة طوس عام 505هـ/1111م.[20]

أبو الحسن الشاذلي: علي بن عبد الله بن عبد الجبار أبو الحسن المكنى بالشاذلي نسبة إلى شاذلة إحدى قرى تونس بعدما هاجر إليها آتيا من قرية غورزوم من إقليم جبالة في المغرب. ولد سنة 593هـ/1195م[21]، هاجر إلى مكة ثم إلى العراق واستقر بالإسكندرية وفيها تزوج، وكان له الولد والأهل والأحباب، مات سنة 656هـ/1258م في طريقه إلى الحج بالصحراء بين قنا والقصير، ودفن حيث مات[22]

ابن عربي (شيخ الصوفية): هو أبو بكر محمد بن علي، تنعته الصوفية بالشيخ الأكبر، شهرته محي الدين، من قبيلة حاتم الطائي، ولد بمرسية الأندلس سنة 560هـ/1165م، في الأندلس يعرف بابن سراقة وفي المشرق بابن عربي،. له نحو أربعمائة كتاب أشهرها موسوعته الكبرى في التصوف بعنوان " الفتوحات المكية " تقع في خمسة وستين بابا وكتاب " فصوص الحكم ". بدأ التصوف في العشرين من عمره، استقر في دمشق وبها توفي ودفن بسفح جبل قاسيون سنة 638هـ/1241م[23].

أبو القاسم جنيد: بن محمد النيد، أصله من نهاوند أول من تكلم في علم التوحيد، ولد ونشأ، ببغداد وتوفي بها سنة 297هـ/910م. مذهبه يقيده بالكتاب والسنة، كان يعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير، وبالزجّاج أيضا، حفظ تصوفه من شبه الغلاة، صحب خاله السرى السقطي، أساس مذهب الجنيد مراقبة الباطن، وتصفية القلب وتزكية النفس، والتخلق بالأخلاق الحميدة.[24]

القشيري: أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان بن عبد المالك بن طلحة الملقب بزين الإسلام، ولد بقرية تدعى إستو من قرى نيسابور عام 346هـ/957م، توفي أبوه وهو طفل فعاش في كفالة أمه. تتلمذ على يد أبي علي الدقاق وأبي بكر بن

فوكر وأبي إسحاق الإسفراييني. خلّف القشيري العديد من المصنفات منها الرسالة القشيرية في التصوف، لطائف الإشارات في التفسير، شكاية أحكام السماع. توفي القشيري سنة 465هـ/1072م.[25]

زروق: الصوفي المعلم هو أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي (846 – 890هـ/ 1142-1485م) من أهل المغرب قرأ بمصر وتوفي في تكرين من طرابلس الغرب، له تصانيف في التصوف والفقه، والشروح الكثيرة على الحكم العطائية، حتى قيل إن عددها تجاوز الثلاثين، أهم كتب زروق في التصوف " إعانة المتوجه المسكين على طريق الفتح والتمكين "، قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة، ويصل الأصول والفقه بالطريقة، يميل زروق إلى الاختصار في كتاباته. وأصل تسميته بزروق كما قال عن نفسه أن جده كان أزرق العينين.[26]

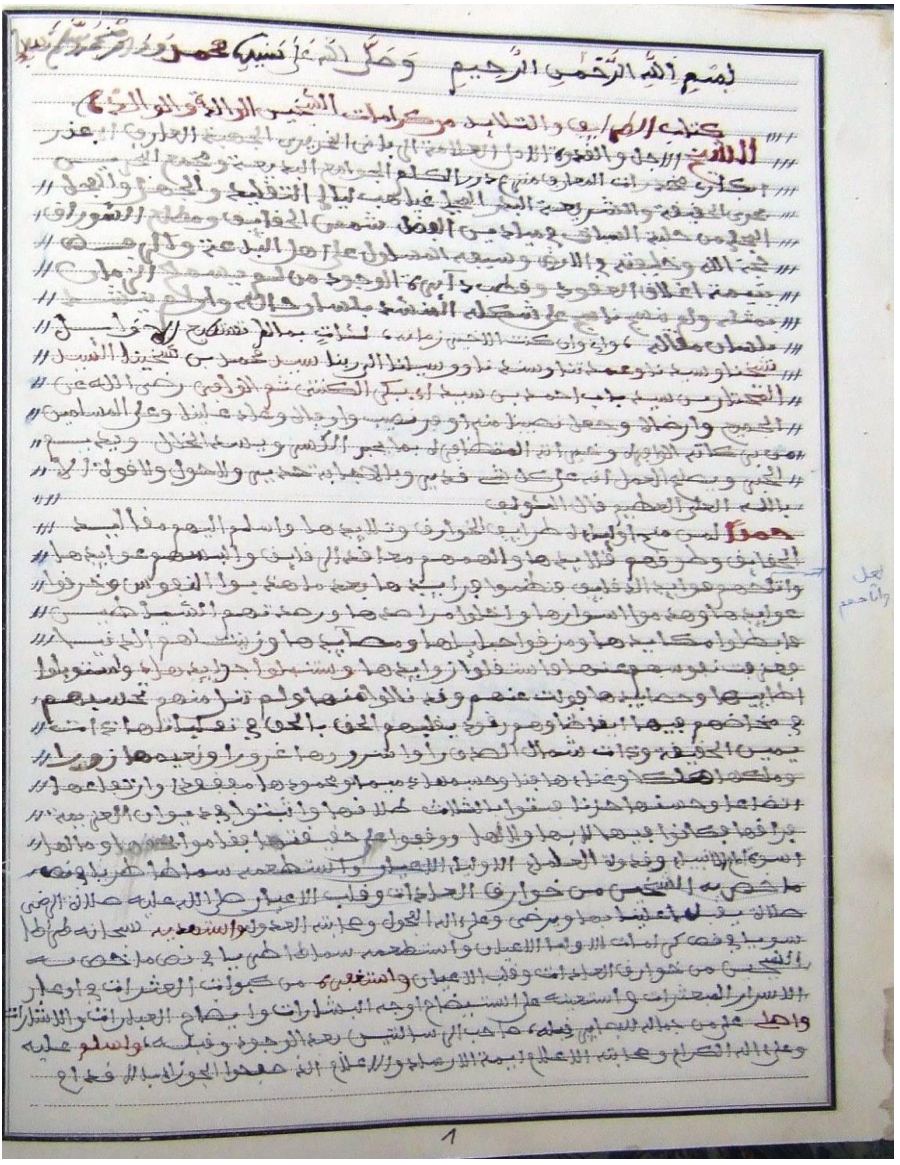

الصفحة الأولى من المخطوط

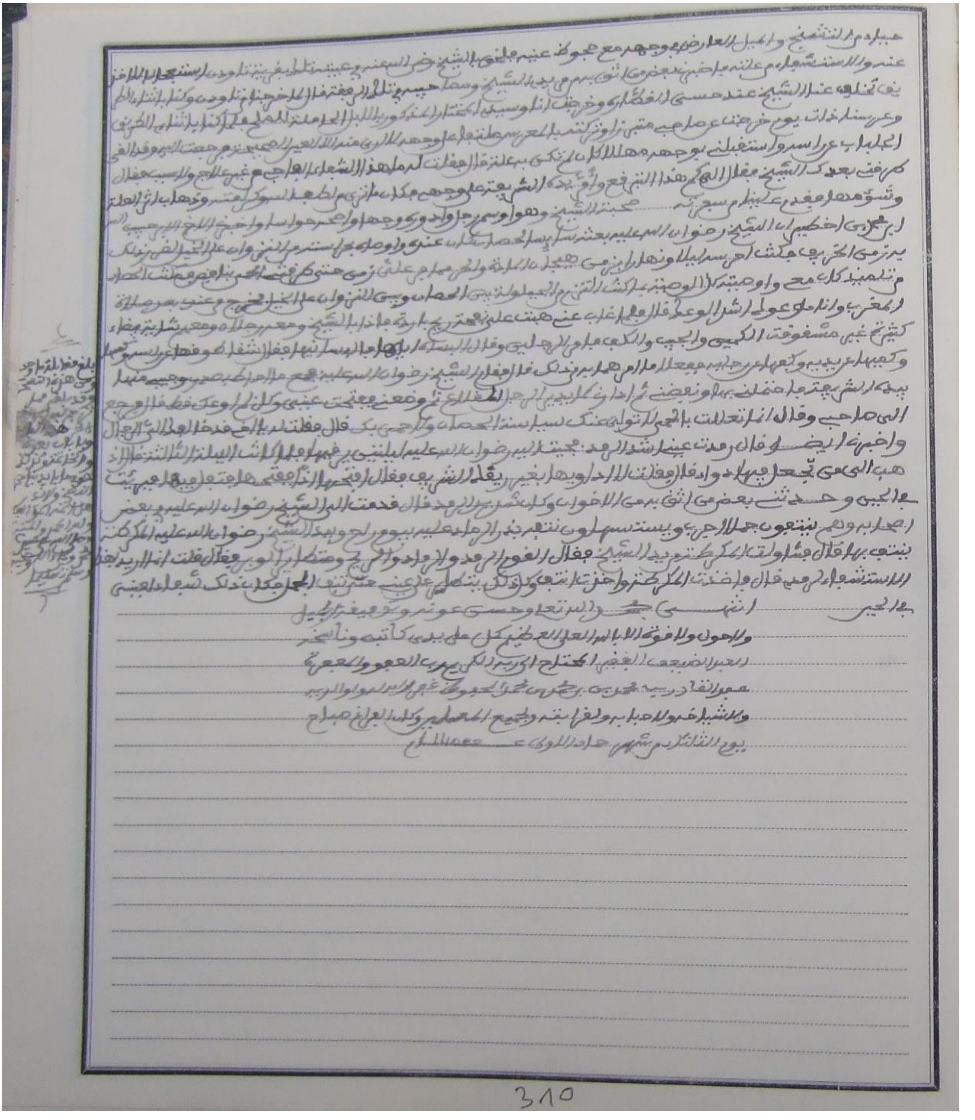

الورقة الأخيرة من المخطوط

الهوامش

[1]- محمد الخليفة بن سيدي المختار، مخطوط الطرائف والتلائد في كرامات الشيخين الوالدة والوالد ورقة42.

[2]- عبد الكبير بن المجدوب، تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان، وحوادث السنين، موسوعة أعلام المغرب، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ج2، ص939.

[3]- محمد الخليفة الكنتي، الرسالة الغلاوية، تحقيق محمد حماه الله ولد السالم، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، جامعة محمد الخامس، السويسي الرباط، المملكة المغربية ط1، 2003. ص8.

[4]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي. دار الغرب الإسلامي، بيروت. لبنان ط1، 1998، ج4. ص11

[5]- حناني فردوس، محمد الخليفة الكنتي (1179هـ-1242/ 1765-1826). ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية 2008-2009، ص ص 16-17.

[6] -الولاتي أبو عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر البرتلي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور. تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي بيروت، دار الغرب الإسلامي ص159.

[7] بلو محمد، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، القاهرة، الاتحاد الاشتراكي العربي 1964. ص325.

[8] -محمد الخليفة الكنتي، أوثق عرى الاعتصام، ص14.

[9] -عمر عبد الرحمن الماحي، الدعوة الإسلامية في إفريقيا، الواقع والمستقبل، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون الجزائر، د ط، د ت ط، ص153.

[10]- محمد خليفة الكنتي، أوثق عرى الإسلام. ص14. بول مارتي، كنتة الشرقيون. تعريب وتعليق محمد محمود ولد ودادي. دمشق، مطبعة زيد بن ثابت د ت، ص 81.

[11]- الشنقيطي أحمد بن أمين، الوسيط في تراجم علماء شنقيط. مكتبة الوحدة العربية بالدار البيضاء ومؤسسة الخانجي بمصر، ط2، 1958، ص24. الولاتي، فتح الشكور. ص93.

[12] -الشنقيطي، الوسيط. ص522.

[13] -محمد سليمان الطيب، موسوعة القبائل العربية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د ط 2001، ج3، ص ص 276-277.

[14] -محمد الخليفة الكنتي، الطرائف والتلائد، الورقة 310.

[15] -بول مارتي، كنتة الشرقيون ص82.

[16] -عبد المؤمن الحنفي، الموسوعة الصوفية. ص ص 416-417.

[17] -حجة الإسلام أبي حامد الغزالي، المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال. تحقيق وتقديم جميل صليبا وكامل عياد، مطبعة الجامعة السورية ط5، 1376هـ/1956. الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة ج19، ص ص 322-346. القاضي ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق إحسان عباس. بيروت، دار صادر، ج4 ص ص216-219. ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسير بيروت لبنان، ط2، 1399هـ، ج4، ص ص10-13.

[18] - بدوي عبد الرحمان، مؤلفات الغزالي، الكويت، وكالة المطبوعات ط2، 1977، ص202. محمد خليفة الكنتي، مخطوط الطرائف والتلائد، ورقة 36.

[19] -محمد خليفة الكنتي، الطرائف والتلائد. ورقة 46

[20]- عبد المنعم الحنفي، الموسوعة الصوفية، مكتبة مدبولي القاهرة، ط1، 1424هـ /2003. ص 443.

[21]- ابن الملقن سراج الدين أبو حفص، طبقات الأولياء. تحقيق نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، ط4، 1415هـ /1994، ص ص 458-459. ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج5 ص 232.

[22]- عبد الحليم محمود، أبو الحسن الشاذلي المجاهد الصوفي والعارف بالله. دار الكتاب العربي مصر، 1967، ص ص 79- 80. عبد المنعم الحنفي، المرجع السابق. ص319.

[23] -عبد المنعم الحنفي، الموسوعة الصوفية، ص404.

[24] -عبد المنعم الحنفي، الموسوعة الصوفية، ص130

[25]- ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق على نجيب عطوي، بيروت دار الكتب العلمية د ت، ج12، ص 114. السبكي طبقات الشافعية. ط1، 1967، ج5، ص157.

[26]- عبد المنعم الحنفي، الموسوعة الصوفية، ص261